فايز صلاح قاسم عثامنة

السيرة الذاتية في الأردن

الذات والإطار الاجتماعي

بدعم من أمانة عمان

التكوين

السيرة الذاتية في الأردن

الذات والإطار الاجتماعي

فايز صلاح قاسم عثامنة

اربد - جامعة العلوم والتكنولوجيا

هاتف : ٧٩٥٥١١٨٤٩-٩٦٢+

E-mail:fayez@just.edu.jo

التكوين

١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧ م

بدعم من أمانة عمان

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة
الوطنية(٢٠٠٧/٣/٧٣٠)

٨١٠،٩٠

عثامنة، فايز صلاح قاسم

السيرة الذاتية في الأردن: الذات والإطار الاجتماعي/فايز صلاح قاسم عثامنة._ عمان: المؤلف، ٢٠٠٧.

( )ص.

ر.أ. : (٢٠٠٧/٣/٧٣٠).

الواصفات: /الأدب/النقد//السيرة الذاتية//الأردن/

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٠٠٧/٣/٧٦٠

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف.

للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - تلفاكس : 00963112236468
E-mail:taakwen@yahoo.com

الموضـــوع	رقم الصفحة

الإهداء..... ٣-٤

شكر وتقدير..... ٥-٦

الفهرس..... ٧-٩

المقدمة..... ١١-١٤

التمهيد..... ١٥- ٢٤

ـ ماهية السيرة الذاتية..... ١٧

ـ مفهوم السيرة الذاتية..... ١٨

ـ السيرة الذاتية في الأردن..... ٢٠

الفصل الأول:..... ٢٥-٦٦

استرجاع الذات في السيرة الذاتية..... ٢٧

ـ الطفولة ٢٨

أولا ثمانون ٣١

ثانيا مدارات الذاكرة ٣٥

ثالثا رحلة العمر ٤٠

رابعا العودة إلى الهدأة ٤٤

خامسا أوراق الشتات ٤٧
ـ الأسرة..... ٤٨
الوالد، الوالدة، الإخوان، الأصحاب..... ٤٨
ـ القبيلة..... ٥٩
ـ الأماكن..... ٦١
الفصل الثاني:..... ٦٧-١١٦
الواقع الحياتي في الأردن في السيرة الذاتية..... ٦٩
ـ الحياة الاجتماعية، السياسية، الثقافية..... ٧٠
أولا ثمانون..... ٧٢
ثانيا مدارات الذاكرة وفي الطريق إلى عمان..... ٧٨
ثالثا رحلة العمر..... ٩٣
رابعا العودة إلى الهدأة..... ٩٨
خامسا أوراق الشتات..... ١٠٧
الفصل الثالث:..... ١١٧-١٨٦
السيرة الذاتية والتشكيل الفني..... ١١٩
ـ أنواع السيَر الذاتية والأبعاد الفنية..... ١٢٠
أ ـ السيرة التاريخية التسجيلية..... ١٢٠
ب ـ السيرة الذاتية الأدبية..... ١٢٤
ج ـ الأبعاد الفنية للسيرة الذاتية..... ١٣١
أولا العنوان..... ١٣٢
ثانيا اللغة..... ١٣٧

ثالثا الزمن.....١٤٩
رابعا المكان.....١٥٨
خامسا السرد.....١٧٨
الخاتمة.....١٨٧-١٨٨
المصادر والمراجع.....١٨٩-٢٠٠

المقـدمـــة

يهدف هذا الكتاب إلى قراءة تفصيلية للسير الذاتية التي صدرت في الأردن خلال المدة الواقعة بين عامي ٢٠٠٠م – ٢٠٠٥م، والتركيز على جانبين: الذات الكاتبة، والإطار الاجتماعي، في محاولة تقصى عناصر هذين الجانبين من خلال رؤية نقدية تستند إلى الدراسات المتعلقة بالسيرة الذاتية.

لقد شهد مطلع الألفية الجديدة صدور عدد من "السير الذاتية" في الأردن، مثلت جوانب مختلفة، كالجانب الاجتماعي والثقافي والسياسي، وهي سير تسترجع صورة الذات في الإطار الاجتماعي الذي عاشت فيه.

ومن الواضح أن السير المعنية بالدراسة قد وقفت على ثلاثة من المرتكزات السردية الزمنية الحاسمة في كتابة السيرة الذاتية وهي: مرحلة ما قبل الطفولة، بنقل الأخبار عن طريق الراوي والتمهيد للمرحلة التالية، مرحلة استرجاع الطفولة؛ التي تقوم على (تعرية الذات)، وتسليط الضوء على حياة الكاتب لأهميتها من الناحية الفكرية والنفسية التي تتشكل آنذاك، ومن ثم مرحلة الشباب؛ والانطلاقة نحو الآفاق سواء كان ذلك صعودا أو هبوطا، أحيانا، وقد تمثل هذا الجانب من الدراسة في تصوير الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية، والمرحلة الأخرى، المتقدمة في السن (الخلاص)؛ والتي تتبلور فيها الأحداث والوقائع والأحوال وترتسم الصور بشكلها النهائي في سرد استذكاري لأصداء الماضي، إذ يتم تشكيل الخطاب السيّر ذاتي والذي يسمى بالزمن الحاضر، ويتكون محتوى الخطاب من مجموعة من العناصر الداخلية ضمن بناء فني وأسلوب أدبي.

لذلك عمد أصحاب السير على استعادة ذلك الماضي – الطفولة – في استجلاء صورة الذات وتمجيدها والوقوف على الواقع الحياتي المعيش في تلك الفترة الماضية بتجلد وصبر.

وقد تناولت في كتابي سيرة كل من: سليمان موسى ثمانون: رحلة الأيام والأعوام؛ فالح الطويل مدارات الذاكرة وفي الطريق إلى عمان: أوراق سفير؛ عبد السلام المجالي رحلة العمر: من بيت الشعر إلى سدة الحكم؛ وهدان عويس العودة إلى الهدأة؛ رجا سمرين أوراق الشتات: سيرة ذاتية ومذكرات.

واتخذت منهجا يقوم على استقصاء النصوص لكتاب السير الذاتية والتركيز على العوامل السيكولوجية والاجتماعية للعلاقة التي تربط الذات بكتابة السيرة وسبر أعماق النفس الإنسانية من خلال النصوص المعنية بالدراسة، مع الأخذ بعين الاعتبار باقي المناهج الأخرى ذات العلاقة بهذه الدراسة.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول: الفصل الأول تحدثت فيه عن استرجاع الذات في السيرة الذاتية، وفي الفصل الثاني عن الواقع الحياتي في الأردن المتمثل في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، وفي الفصل الثالث عن البناء الفني للسيرة الذاتية. وخاتمة؛ أتبعها بالمصادر والمراجع.

تحدثت في التمهيد عن ماهية السيرة الذاتية، وتقديم وجهات نظر لمختلف مفاهيم السيرة الذاتية الحديثة؛ ومن ثم قمت بعرض تاريخي موجز لمسيرة السيرة الذاتية في الأردن، منذ بداية ظهور سيرة الملك عبدالله الأول "من أنا" حتى الانتهاء من كتابة هذه الدراسة.

وفي الفصل الأول، تحدثت عن استرجاع الذات في السيرة الذاتية؛ والتركيز على عامل مهم وهو الطفولة، التي غابت عن الكتابات السابقة للسيرة الذاتية في الأردن، إذ تمثل هذه المرحلة نقطة وعي الطفل بالمحيط بأبعاده المادية والاجتماعية.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن الواقع المعيش في الأردن من خلال النصوص المعنية، ممثلا في الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية.

وفي الفصل الثالث أبانت الدراسة عن أنواع السير الذاتية، منها: السيرة التاريخية التسجيلية؛ تمثل هذا النوع في سيرة رجا سمرين، والنوع الآخر: السيرة الذاتية الأدبية؛ إذ يعد الشكل الروائي في كتابة السيرة الذاتية من أرقى الفنون التي تستعين به السيرة الذاتية لكتابتها، وذلك بفضل تواجد عنصر الإبداع والخيال الفني، والمتتبع لأبرز السير الذاتية وأميزها يجد الكثير بها من الأسلوب الروائي، وقد تمثل هذا الجانب في أغلب السير الذاتية موضوع البحث.

وتحدثت كذلك عن الأبعاد الفنية للسيرة الذاتية، حيث نجد أنها تتفاوت في عملية الكتابة من عنصر إلى آخر، وأن لكل عنصر مهمة ووظيفة تؤدى على حده في السيرة الذاتية، وكلما اشتملت السيرة الذاتية على تكامل العناصر الفنية في عملية الكتابة، كان ذلك أجدى في تقديم الصورة الحقيقية لفن السيرة الذاتية من خلال تلك الأبعاد التي يقدمها صاحب السيرة الذاتية، لهذا يصعب جدا على كاتب السيرة الذاتية أن يتخلى عن تجربته الحياتية الخاصة، حيث المكان الذي عاش فيه منذ الصغر حتى المراهقة، والزمن الذي يتألف من لحظات خاصة ومراحل معينة. ومن العناصر الفنية والخصائص المميزة

لطبيعة السيرة الذاتية، التي تجلت فيها الأبعاد الفنية لتلك النصوص المعنية، والتي تم التطرق إليها: العنوان واللغة والزمان والمكان والسرد.

وكل أملي أن يحظى جهدي الذي بذلته في هذا الكتاب بالتوفيق والتقدير، وأن يوفقني الله لما فيه خير.

التمهيد

ماهية السيرة الذاتية

مفهوم السيرة الذاتية

السيرة الذاتية في الأردن

موسى. ولذا فإن هذه الدراسة ستنصرف إلى قراءة تفصيلية للسير الذاتية مركزة على جانبين: الذات الكاتبة؛ والإطار الاجتماعي، محاولة أن تتقصى عناصر هذين الجانبين من خلال رؤية نقدية مستندة إلى الدراسات المتعلقة بالسيرة الذاتية. والسير موضوع الدراسة هي:

ـ ثمانون: رحلة الأيام والأعوام، سليمان موسى. ٢٠٠٢م. مؤرخ وكاتب.

ـ مدارات الذاكرة، فالح الطويل.ج١، ٢٠٠٢م. سياسي وكاتب.

ـ رحلة العمر من بيت الشعر إلى سدة الحكم، عبد السلام المجالي. ٢٠٠٣م. سياسي.

ـ العودة إلى الهدأة، وهدان عويس. ٢٠٠٣م. سياسي وكاتب.

ـ في الطريق إلى عمان، أوراق سفير، فالح الطويل. ج٢. ٢٠٠٤م. سياسي وكاتب.

ـ أوراق الشتات: سيرة ذاتية ومذكرات، رجا سمرين. ٢٠٠٤م. أديب وكاتب.

الفصل الأول

استرجاع الذات في السيرة الذاتية

الطفولة، الأسرة، القبيلة، الأماكن.

أوراق الشتات، رجا سمرين[١].

تختلف بداية السيرة الذاتية لدى سمرين عن السير السابقة من حيث البدء بالحديث عن "الميلاد البيولوجي"، لهذا جاء حديثه عن مرحلة الطفولة موجزا، نتيجة للهم الأكبر الذي كان يجول في خاطره من أحداث ووقائع هامة في أثناء مكوثه في بلدة "قالونيا"[٢]، قائلا: "لا أذكر كثيرا من أحداث الطفولة التي تنتهي بسن الرابعة، وكل ما أذكره أننا كنا نعيش في غرفة بالحارة الشرقيـــة تسمى دار سمرين وهي بالقرب من دار صلاح"[٣].

وهناك حادثة يتذكرها في أثناء دراسته في الصف الرابع، أثارت غضبه، لقاء نعته بلقب أبو تفاحة من قبل أحد أولاد المدرسة وقد اعترضه في الطريق، لكنه سكت على مضض، قائلا: "اكتفيت ساعتها بشتمه ومضيت في طريقي وفي أعماقي من نيران الغضب المشتعلة ما يكفي لإحراق ذلك الولد وأهل بيته. وكتمت عدوانه هذا في نفسي إلى أن كان ذات يوم.... وأمسكت بذلك الولد وطوقته بذراعي الأيسر وشرعت أضرب رأسه بالحجر.. أدقه به دقا مرات متتالية، وأنا أقول: خذها من يد أبي تفاحة أيها الكلب"[٤].

ومن ثم يستطرد بالحديث عن كيفية التحاقه بالمدرسة، قائلا: "في بداية العام الدراسي من سنة ١٩٣٦م. ألحقتني أمي بمدرسة القرية، وقد

---

١) رجا سمرين، أوراق الشتات: سيرة ذاتية ومذكرات ١٩٢٩ــ ٢٠٠٤.

٢) بلدة تقع في قضاء القدس.

٣)سمرين، أوراق الشتات. ص٧٥.

٤) نفسه، ص٨٨.

أسلمتني إلى الشيخ حسن نسيبه المعلم الوحيد في المدرسة وهي تقول: وديعتك رجا يا سيدنا الشيخ، نريده أن يتعلم على يديك المباركتين"[1].

يقدم اعترافه بضعفه في مادة الرياضيات، وأنه لم يكن يرغب في دراسة هذه المادة إلا أنه عاود فيما بعد التخلص من كراهيتها وبدأ يفهم قوانينها وطرق الحل السليمة وبدأ ينظم الشعر وهو ابن خمسة عشر عاما، كان يشارك في التمثيل بالمدرسة وكان عضوا في فريق الكورال ويشارك في المسابقات الرياضية. وهو بذكره لهذه الأنشطة في أثناء الدراسة، يضفي على سيرته الذاتية صفات مميزة عن باقي الأشخاص لتلك الفترة، إلا أنه لم يذكر لنا كما جاء في السير السابقة، عن الحرمان والبؤس والفقر لمرحلة الطفولة، بل ذكر الحالة التي يعيشها في أسرة وفي بيت واحد يربطها الألفة والمحبة في قرية قالونيا.

غلب على سيرته طابع تلك الأحداث لتلك الفترة، الطابع السياسي وبداية السرد التاريخي، للدخول إلى عمق الحدث المؤثر فيما بعد، إذ إن لكل كاتب من أصحاب تلك السير هدفا ومطلبا رئيسيا، يكنه في أعماق نفسه الداخلية، يرغب في البوح به إلى المتلقي. لكن جانب الطفولة لديه جاء شحيحا جدا مضفيا على سيرته الجانب التاريخي البحت في كتابة السيرة الذاتية.

ب ــ **الأسرة:** الوالد، الوالدة، الإخوان، الأصحاب.

---

١)سمرين، أوراق الشتات. ص٩٧.

والصدق والمحبة.ولا يعني ذلك ، أنه لم يكن لوالدي المؤمن ووالدتي المؤمنة دور في ذلك، فكل منهما أدى دوره"[١].

إن هذه الصورة التي يستحضرها لشقيقه إبراهيم وغيرها في ثنايا السيرة لديه تجعل من إبراهيم هالة ذات أبعاد دلالية عميقة، مضفيا عليه سمات وجدانية وروحانية اكتسبها من التعاليم الدينية المسيحية، "لقد أخبرنا هو فيما بعد أن هاتفا داخليا دعاه لأن يترك حياة العالم ويحيا حياة روحية"[٢].

أوراق الشتات لرجا سمرين

يصف أسرته ضمن مرحلتين: مرحلة الطفولة، مبينا أمجاد والده وبطولاته في بلدة قالونيا ووقوف والدته معه في معاناته، والمرحلة الثانية، كانت في مصر بعد أن تعرف على سيدة وتم زواجه منها لتبدأ تتشكل لديه الأسرة الجديدة.

أما عن بداية الأسرة الأولى فكانت الانطلاقة من بلدة قالونيا، قائلا: "بدأت أسرة محمد سمرين الصغيرة مسيرتها مع الحياة في قالونيا"[٣]. مبينا الدور البطولي الذي لعبه والده في أثناء الثورة، حيث هاجم أهالي القرية بقيادة والده مجموعة من المستعمرات، وقد أحرق المهاجمون عددا من بيوت المستعمرات. قائلا: "وفي إطار هذه الثورة الشاملة فإن وفائي لقريتي يفرض علي إبراز دورها ودور والدي بالذات فيها"[٤]. وهنا نلحظ

---

١) عويس، العودة إلى الهداة. ص٣٦.

٢) نفسه، ص٣١.

٣) سمرين، أوراق الشتات. ص٧١.

٤) نفسه، ص٨٢.

نسيانا كاملا للدور الذي تلعبه الأم تماما يقع تمجيد الأب، ويقع الإلحاح على أن الأب هو الطريق وهو السبيل المؤدية إلى الأمجاد[١].

نلحظ تحولا في حديثه السردي، بعد أن كان يروي القصص البطولية لوالده ومعاناته وأسرته في التنقل والترحال، أصبح الآن الحديث يأخذ منحى آخر، متحدثا عن المرحلة الثانية الجديدة وعلاقته بسيدة وزواجه منها و تشكيل أسرته الثانية ومصورا معاناته الشديدة التي واجهته في غير بلد عربي: بيروت ومصر والسعودية والكويت والجزائر ومن ثم الاستقرار في الأردن، إن هذا التنقل من بلد إلى آخر شكل لديه حالة من عدم الاستقرار، مشكلا ذلك لديه حالة نفسية من الكآبة، ومما زاد في هذه الحالة، نبأ استشهاد ابنه محمد!! أصبح الحزن سمة عامة لتلك الأسرة، قائلا: "أما نحن كأسرة فقد أصبحت الكآبة سمة بارزة تطبع حياتنا وتلقي بظلالها القاتمة عليها"[٢].

أما بخصوص الأصحاب، كان صديق العمر لديه الشاعر السوري علي دمر، إذ شكل موته مفاجئة كبرى له وأزعجه كثيرا، قائلا: "كان أول شيء فعلته هو أنني رثيت صديقي عليا بقصيدة مؤلفة من ٤٢ بيتا، وهي متنوعة القافية وقد جعلت عنوانها "أين الذي ذاب وجدا...؟! ولكن رثائي له لم يتم إلا بعد انقضاء سنة كاملة على وفاته، وكأني بالحزن مثل الخمر التي تصبح أكثر تأثيرا كلما تقادم عليها الزمن"[٣].

---

١) أنظر اليوسفي، ص٩٦.

٢) سمرين، أوراق الشتات. ص٣٧٢.

٣) نفسه، ص٣٧٩.

إن اغلب السير المعنية في الجانب الخاص بالأسرة، تقدم صورة الأب البطل وتمجّد شخصيته، تجده حنونا أحيانا؛ عاش على الأغلب حياة صعبة، عانى كثيرا من قسوة الأيام وضيق ذات اليد كما عانى أبناؤهم معاناة شديدة، تكللت بالنجاح والتوفيق فيما بعد.

أما صورة الأم، فقد وصفت في غير موقف بالمربية الفاضلة، التي ترعى أولادها خير رعاية، والتي تقع المسئولية الكبرى عليها في أغلب الأحيان في إدارة شؤون الأسرة، ولم نلحظ أحدا استحضر صورة الأم السلبية في كافة السير. هذا ما تمثل لدينا في تلك النصوص الحافلة بالصور الإيجابية للأسرة [1]. حب الوالدين وطاعتهما واحترامهما واجب على كل مؤمن بالله، نقرأ في الإنجيل: "أكرم أباك وأمك ليطول عمرك في الأرض التي يعطيك الرب إلهك، ونقرأ في القرآن وصية أكثر وضوحا: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما"[2]. بهذه الآية الكريمة[3]، نختتم هذا الدليل على ما نحن بصدد الحديث عنه في تمثل تلك السير للتعاليم السماوية السمحة، ويكون أصحاب هذه السير قد قدموا سمات عامة للترابط الأسري المتين، وقدمت هذه الأسر الأبوية لذويها كافة أشكال الدعم سواء كان معنويا أو ماديا، لإكمال مسيرتهم وبلوغهم الهدف الذي يصبون إليه في تلك الفترة، على الرغم من القلة والفقر والعوز لديهم جميعا، ويكون قد أثْروا وأثَروا فينا

---

١) للمزيد أنظر رووكي، ص٣٣٧، الأسرة الأبوية. يتحدث فيه عن صورة الأب والأم إيجابا وسلبا.

٢) نفسه، ص٣٣٩.

٣) سورة الإسراء، آية ٢٣.

إحساسا عميقا بتمثل الحدث والتعايش في أجوائه، وهذا يؤكد أن الاسترجاع السردي لما مضى استرجاع قائم على التعبير عن ذات يملؤها الفخر والاعتزاز، لرد الجميل لأولئك البناة الأوائل، في إظهار واقع جزئي من الحال المعيش في تلك الفترة، ونقل صورة تلك الحياة كما يراها كتاب السيرة.

ت ــ القبيلة

"إن المرء يجد في الحديث عن أصوله متعة مشروعة ومن حقه أن يشعر إزاء أجداده بنخوة تضاهي تلك المتعة"[1]. ولعل هذا ما تؤكده السير الذاتية التي ترسم في الغالب صورا تمجيدية للقبيلة، وبخاصة أن أصحابها ينتمون في معظمهم إلى مجتمعات ذات طوابع قبلية راسخة، ففي مدارات الذاكرة يقول الطويل: "يفتخر أهل حكما بأنفسهم ــ كانوا جميعا من عشيرة البطاينـــة في ذلك الوقت ــ ويرون بأنهم ذوو شجاعة وكرم، ويغضبون إذا أنكر عليهم أحد ذلك. ولكي يستحقوا اعتراف الآخرين بهذين الصفتين، فقد كانوا كرماء حد المبالغة"[2].

وفي قراءة ثانية لسيرة الموسى "**ثمانون**" يعيد جذوره الأولى لقبيلته ــ التي كانت تقيم في مدينة "عولم" بين بيسان والناصرة ــ إلى لبنان دير القمر، من ثم النزوح إلى أراضي الدولة العثمانية ثم إلى دمشق ثم الاستقرار في قرية الرفيد "الأردن". بهذا التسلسل العريق لهذه القبيلة،

---

١) ماي، ص١٤١.

٢) الطويل، مدارات الذاكرة. ص١٣.

يستحضر الموسى عراقة وقدم هذه القبيلة الضاربة جذورها في التاريخ، لتضفي تميزا وبهاء على سيرته الذاتية.

وفي المقابل نلحظ طرحا آخر لدى المجالي في "**رحلة العمر**"، بالحديث عن قبيلته بالفخر والاعتزاز وعن الجذور الأولى للعشيرة. يقدم صورة الذات، ملؤها الأمل والفخر معبرا عن ذلك ومعتزا بعشيرته، وكيف جلوا من مدينة خليل الرحمن إلى الأردن، وتم تسميتهم بعد ذلك بالمجالية بعد أن كانوا من عشائر بني تميم.

إن حبه لعشيرته واعتزازه بها وتمجيدها، يأخذ لدى المجالي أبعادا مميزة نتيجة لمركزية الحضور للعشيرة في المجتمع العربي، وأهميتها في تكوين قيم اجتماعية معروفة لدى عامة الناس داخل المجتمع الأردني.

أما القبيلة لدى وهدان عويس "**العودة إلى الهدأة**"، فيعود بجذور عائلته إلى عهد قريب بنا إلى أوائل القرن التاسع عشر في إحدى قرى الكرك ومن قرية تدعى كثربة، وأنهم تعرضوا للغزو من قبل آل عمرو، الذين نهبوا بيت عويس واقتادوه ودقوا رأسه في قلعة الكرك، ثم تفرقت هذه العائلة إلى مناطق مختلفة إلا أن والده عاد إلى دبين واستقر بها[1].

وأما القبيلة لدى رجا سمرين في "**أوراق الشتات**"، فنجد أنه يرد أصولها التاريخية إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وأن أجداده قد عايشوا جميع العصور التاريخية التي مرت على فلسطين، بدءا بالعهد الراشدي ومرورا بعهود بني أمية وبني العباس والفاطميين والأيوبيين والمماليك والأتراك وانتهاء بعهد الانتداب البريطاني، الذي اجتثهم من

---

١) أنظر سيرته الذاتية.

إن استحضار تلك الركائز الهامة في السيرة الذاتية، يعطي تأملا أدبيا للنصوص في جلب الهام وتأصيله في النص، ليعطي البعد والعمق الدلالي للمكان بمنظور أدبي ثاقب. لهذا جاء تعبير كوهين عن أهمية المكان في السيرة الذاتية: "السرد عن الأماكن شديد الأهمية في أعمالهم، كما أن النظرية الأدبية تقول لنا: إن الأماكن تحظى بذلك الاهتمام الشديد في بنية النص المتخيل، وربما كان ذلك كذلك لأن مكان القصة قد يكون تعبيرا رمزيا عن الشخصية"[1].

يقدم رجا سمرين في "أوراق الشتات" وصفا عاما للمكان، متمثلا في قريته التي تبعد سبعة "كيلو مترات" غرب مـــدينة القدس، قائلا: إنها مدينة صغيرة شيدت منازلها من الحجارة البيضاء، التي أكسبتها منظرا بديعا أخاذا يسر الناظرين، تحيط بها من الجوانب الكروم والبساتين، تبعد عنها بلدة عين كارم ثلاثة "كيلو مترات"، مشبهًا مدينته بمدينة السلط، ذاكرا العيون وأسماءهـــا ومجموعة كبيرة من الآبار كانت مدعاة الخير والبركة في القرية.

بعد هذا الاستعراض للمكان نجد أن الجميع يهتم كثيرا بهذا الجانب في كتابة السيرة الذاتية، لدلالته الواضحة وعراقته التاريخية في ربط الماضي بالحاضر، من خلال الاسترجاع الدال في جلب الصورة الحقيقية لتلك الأمكنة خاصة القرية، لتأخذ دورها في تشكيل مرتكزات أساسية في اكتمال عناصر السيرة الذاتية، والذي بدونه تفقد الكتابة لذتها ومرجعيتها. فجاء وصفهم للأمكنة معبرا وقد تجلت لهم الذاكرة بأروع صورها، فجاء

---

١) رووكي، ص٢٥٥.

الوصف دقيقا للقرية والظروف البيئية المحيطة، لذا جاء السرد متناغما مع طبيعـــة تلك الأمكنة، التي كانت تجمعهم بها أروع الذكريات الحميمة في واقع كان يشوبه الفقر والصراع من أجل البقاء.

هذا يحيل بنا إلى المفهوم السابق للسيرة الذاتية: بالتركيز على الجانب الهام والمميز للخطاب السردي، في عملية بناء السيرة الذاتية بخطى ثابتة وحقيقية، في ذات مبدعة وطموحة كانت تعيش واقعا اجتماعيا صعبا في الزمن الماضي. إذ تأتي السيرة الذاتية نابعة من العقل، الصورة الخيالية تبعدها عن ماهيتها الحقيقية وعبقرية الشخص ترتبط بالعقل أكثر من الخيال، "ولا ريب في أن الذين يزاولون كتابة السيَر كثيرون، ولكني إنما أعرض نمـــاذج متفاوتة، وعلى تفاوتها فإن أصحابها يشتركون في خاصية واحدة، هي اتصال إنتاجهم الأدبي بالذهن أكثر من الخيال"[1].

---

١) عباس، ص٧٢.

الفصل الثاني

الواقع الحياتي في الأردن

الحياة الاجتماعية، السياسية، الثقافية.

"فإرادة الحكام مرهونة لنفوذ الدول الأجنبية وإرادة الأفراد مرهونة للحكام، ولا خلاص إلا بتحرير الإرادتين، وهذا ما يجب على جيل الأبناء أن يناضل من أجله"[١].

أما الرسالة التي يود إيصالها في ملحق من السيرة الذاتية لديه، تحت عنوان محاضرة "الوعد وأرض الميعاد في الكتاب المقدس" فيوضح بأن الديانة المسيحية مثلها مثل الإسلام، ديانة سماوية غير عنصرية، أساسها الإيمان بالله الواحد، ومبينا أن أرض الميعاد المزعومة من قبل الحركة الصهيونية مزيفة وغير حقيقية "وأن الدوافع السياسية للدول الغربية وركوبها الموجة الصهيونية بهدف العودة إلى استعمار المنطقة واستغلال ثرواتها"[٢].

جميع هذه المحاور التي يقدمها، تعدّ هامة في كتابة السيرة الذاتية، تفيد الأجيال للتغيير المنشود، ضمن حرية سياسية تعطى للفرد من قبل السلطة، "ذلك أنه يستحيل أن يتحقق ازدهار لحياة عقلية حقيقية من دون توافر الحرية السياسية في أبسط صورها، إذ ما جدوى التفكير نفسه في ظل سيطرة مسلمات محددة سلفا؟ وما جدوى العمل الإبداعي في ظل أنماط جاهزة من الفكر والتفكير السياسي والتنفيذي؟ وفي ظل محددات واضحة المعالم لسلطة الحكم والنفوذ؟"[٣].

وفي تتبعنا للواقع الاجتماعي في سيرة رجا سمرين "**أوراق الشتات**" نلحظ أن الجو العام في عملية الاستحضار ــ كما أسلفنا سابقا ــ

---

١) المصدر السابق، ص٢٤٦.

٢) نفسه، ص٢٥١.

٣) محمد الجوادي، تكوين العقل العربي، مذكرات المفكرين والتربويين. ٢٠٠٣، ص٢٨.

جاء مقتصرا على الأحداث التاريخية العامة المتمثلة في الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، لكن هذا لا ينفي الفنية الأخرى للصور الاجتماعية المتمثلة في الواقع الحياتي للعلاقة ما بينها وبين الآخر، مستهلا حديثه فيما كان يروى له من والده، عن الأردن إبان التأسيس، بعد أن تركها العثمانيون وورثها الإنجليز، مصورا حالة الصراع بين البدو والفلاحين في ظل الحكومات الهزيلة التي قامت في شرق الأردن، قائلا: "الحياة آنذاك في شرق الأردن يا ولدي كانت لعنة من اللعنات، إذ لم يكن في استطاعة الضعيف أن يعيش، ولكي يتمكن الإنسان في تلك الأيام من الاستمرار في البقاء، فقد كان لا بد له من أن يكون قادرا على الدفاع عن نفسه، وعدم السماح لأحد بالاعتداء عليه"[1].

ولم نلحظ لدى سمرين تركيزا واضحا ومفصلا للواقع الحياتي المعيش والسبب في ذلك، تنقله وارتحاله الدائم من بلد إلى آخر؛ إذ جاء الحديث مخصصا عن بلدة "قالونيا" وفي الدفاع عنها ودحض العدوان الإسرائيلي ومقاومته بالرغم من بساطة العيش وبدائيته في القرية آنذاك. وفي لبنان يتحدث عن الإقامة مع والده بمرافقة الحسيني، ومن ثم الانتقال معا إلى مصر ناقلا لنا صورة اجتماعية في شبه علاقة ما بينه وبين فتاة تعلق بها وأحبها في أثناء إقامته في مصر، قائلا: "توثقت العلاقة بين أسرتينا وأسرة السيد مصطفى موسى، صرنا نقضي معا كثيرا من السهرات إما في شقتنا أو في شقتهم. وبدأت فوزية التي كانت محبة للقراءة تتبادل معي بعض الكتب. وبدأت العلاقة بيني وبينها تأخذ منحى

---

١) سمرين، أوراق الشتات. ص٩٧.

آخر"[1]. ولكن هذه العلاقة لم يكتب لها النجاح، وفي هذا السياق يتحدث عن علاقة أخرى عن المصادفة التي جمعته بسيدة: "ما هذا الذي حدث...؟ كيف تسيطر على تفكيري صورة فتاة عابرة قابلتها مصادفة في الطريق إلى هذا الحد؟!"[2]. والبهجة لهذا الارتباط بسيدة وعلى الفور "أرسل برسالة لوالده، يعلمه عن هذا الخبر، إلا أن الأهل كان لهم وجهة نظر مختلفة من هذا الزواج"[3].

وفي دراسة الجانب السياسي والثقافي، يستذكر الوقائع والأحداث منذ ثورة فلسطين الأولى عام ١٩٣٦م، وحتى إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م وبعد أن تم فصله من العمل مع المفتي بطريقة كيدية بقي عاما كاملا عاطلا عن العمل، انصرف إلى المطالعة المنتظمة في فرع دار الكتب بضاحية الزيتون، قائلا: "أضفت إلى مخزوني الثقافي رصيدا لم أكن أحلم بإضافته في عشرة أعوام، فقد قرأت في هذه المكتبة أهم كتب التراث وأروع ما أبدعته أقلام المعاصرين من رجال النهضة الأدبية والمفكرين الذين ذاع صيتهم في النصف الأول من القرن العشرين"[4] قرأ كثيرا خلال هذه الفترة معظم مؤلفات طه حسين والعقاد وأحمد أمين والرافعي والمنفلوطي، وما ترجم عن الآداب الأوروبية بالحماسة نفسها التي أقبل بها على قراءة الآداب العربية، أمثال فيكتور هوجو والبيركامي وجان بول سارتر وبرنادشو.... ويضيف قائلا: "وعلى الرغم من أنني

---

١) سمرين، أوراق الشتات. ص١٧٣.

٢) نفسه، ص١٩٧.

٣) نفسه، ص٢٠٥.

٤) نفسه. ص١٥٩.

أضفت إلى رصيدي الثقافي الذي اكتسبته خلال هذه الفترة كثيرا من ألوان الثقافة والأدب، عبر السنوات التي أمضيتها في الجامعة دارسا وباحثا من أجل الحصول على أرفع الدرجات العلمية، إلا أنني سأظل مدينا في ثقافتي إلى هذه الفترة القصيرة الحافلة بالنشاط من حياتي"[١].

يقدم اعترافه، أن بداية العمل السياسي كانت في عام ١٩٥١م. إذ إنه يسجل موقفا ورأيا صريحا من جماعة أنصار السلام يوم أن كان سكرتيرا في تلك الجماعة؛ ونظرا لعدم توافق الرؤى ما بينه وبينهم يقدم استقالته من تلك اللجنة، قائلا: "فاجأني إجماع الحاضرين من أعضاء اللجنة على أن ذلك يعد تهديدا صارخا للسلام العالمي، وأن مجرد تفكير العرب في القضاء على إسرائيل يعد من الأمور التي لا يمكن أن يقبل بها العالم"[٢]. ويعد هذا التصريح بالنسبة له خطيرا جدا، "وهكذا لم يدم انتسابي لهذه الجماعة أكثر من ثمانية ايام"[٣].

بعد تجربته مع أنصار السلام والتي ينعتها بالفاشلة، ينجرف في تيار الإخوان المسلمين مع شقيقه غالب، نظرا للسمعة التي تتمتع بها هذه الجماعة بين الطلاب ومواقفها النبيلة من قضية فلسطين، كل هذا حفز الشباب على الانخراط في صفوفها، قائلا: "وانطلاقا من هذه القناعة انخرطت وأخي غالب في صفوف جماعة الإخوان المسلمين، وأصبحنا عضوين في إحدى خلاياها بعد عودة الأسرة إلى القدس بقليل"[٤]. واستمر

---

١) سمرين، أوراق الشتات. ص١٦٠.

٢) نفسه، ص١٩١.

٣) نفسه، ص١٩٢.

٤) نفسه، ص٢٢١.

انتماؤه لهذه الجماعة مدة عامين، ثم حدث بعد ذلك انشقاق عن الجماعة بلا رجعة، بسبب مخالفتي في الرأي لهم على إثر ندوة أقيمت للجماعة عنوانها "في سبيل نهضة إسلامية بأي شيء نبدأ"، وبعد أن فرغ المتحدثون أورد تعليقا لم ينل رضا القائمين على الندوة، بالقول: "إنني أرى أنه لا سبيل إلى قيام أية نهضة في الوقت الحاضر، سواء أكانت إسلامية أو غير إسلامية إلا بقيام انقلاب عسكري يدمر هذه الأوضاع القائمة، ويقلبها رأسا على عقب..." [1]. هذا التعليق أحدث ضجة كبيرة في جمهور المستمعين، ولكن يرد على هذا التعليق من قبل عريف الحفل، قائلا: "إن رأي الأخ رجا هذا رأي شخصي، وهو لا يعبر بالضرورة عن رأي جماعة الإخوان المسلمين"[2]. وسرعان ما أغاضه هذا الرد وسبب له انفعالا، رادا على ذلك: "أما وقد برئتم مني فإني أبرأ منكم كما تبرؤون"[3].

وأما عن بداياته الأولى في أثناء إقامته في الأردن، فقد عمل مدرسا في مدرسة "السلط" وكان يشرح لطلاب الصف الثالث الثانوي درسا عن الأدب العربي في الأندلس، وقد وردت عبارة[4]، أثارت جدلا كبيرا بينه وبين بعض الطلبة، كانوا منتظمين في حزب التحرير الإسلامي وحزب الأخوان المسلمين، مما أشعل وابلا من النيران وتقدم أهالي السلط

---

١) المصدر السابق، ص٢٢١.

٢) نفسه، ص٢٢٢.

٣) نفسه، ص٢٢٢.

٤) العبارة هي " الحضارة العربية" وبعضا من الطلبة يريدون "الحضارة الإسلامية"، للمزيد أنظر المصدر السابق. ص٢٥٣.

بشكوى ضده وتم مهاجمته في المساجد، واتهم بالإلحاد والشيوعية وبتسميم أفكار الناشئة، إلا إنه أخيرا يتم تبرئته من هذه التهم جميعا، "وأخيرا توصلت اللجنة إلى قرار يقضي بعدم إدانتي واقترحت على الوزارة أن تكتفي بتوجيه لفت نظر إلي"[1].

ومن ثم يستطرد بالذكر عن نشاطه السياسي داخل الأردن، وعن معاناة أسرته من الأحكام العرفية في تلك الفترة، مبينا عمليات التفتيش التي كانت تتم بين الحين والآخر من أجل إدانته في أي شيء؛ إذ إن نشاطاته الحزبية كانت تنحصر في إطار ضيق داخل الأردن، بعكس ما ذكره عن نشاطاته السابقة في دول أخرى، باستثناء المنشورات التي كانت في حوزته في مدرسة السلط، قائلا: "كان الجو باردا وكنت أرتدي معطفا سميكا.. وكانت جيوب المعطف محشوة بمجموعة كبيرة من المنشورات الصادرة عن الجبهة الوطنية"[2].

ثم يصور لنا معاناته من قبل وزير التربية محمد أمين الشنقيطي، يوم قام برثاء الزعيم الكونغولي "باتريس لومومبا" الذي قاد شعبه في نضاله من أجل التحرر من براثن الاستعمار البلجيكي، مما أغضب الوزير على نشره لهذا المقال وتم مخاطبته بالهاتف شخصيا وتوبيخه على هذا المقال، مما أثار دهشته واستغرابه من الوزير. ويتم إرسال بلاغ لكافة معلمي التربية يمنع ممارسة مثل هذه الأعمال، مما أعطاه شهرة سياسية وسمعة واسعة النطاق بين معلمي وزارة التربية، قائلا: "ولكن

---

١) سمرين، أوراق الشتات. ص٢٥٦.

٢) نفسه، ص٢٧٣.

غير العادي وغير الطبيعي هو أن يطلع وزير التربية والتعليم الشيخ (الشنقيطي) على تلك القصيدة فتثور ثائرته، وتقوم قيامته، ويعتبر ذلك تدخلا من صاحب القصيدة في السياسة"[١].

في مجمل المحاور السابقة، يكون سمرين قد أوجز من الاستحضار السردي للأحداث والوقائع الثقافية والسياسية الخاصة بالأردن، نتيجة لمجيئه إلى الأردن في فترات متأخرة، وأسهب كثيرا في الحديث عن الأوضاع السياسية الخاصة به على الصعيد العربي، نتيجة تنقله لأكثر من مكان داخل الوطن العربي. حيث دخل الأردن في المرة الأولى في عام ١٩٥٥م ولم يمكث طويلا وعاد في المرة الثانية في عام ١٩٩٩م كما ورد في سيرته الذاتية.

وفي حديثه السياسي العام، يشير فيه إلى انتظامه رسميا إلى جماعة فتح عام ١٩٧٤ ولكنه سرعان ما ينهي علاقته بها، "نظرا للأيديولوجية الضيقة التي تتبناها هذه الجماعة"[٢].

مختتما بذلك سيرته الذاتية، ومشيرا إلى أنه انتظم في أكثر من تنظيم سياسي، منذ جماعة أنصار السلام ومن ثم الإخوان المسلمين وبعدها إعجابه بجماعة القوميين العرب إلى أن انتهى به المطاف في منظمة فتح، مبينا وجهة نظره في هذه الأحزاب التي انسحب منها جميعها، بالقول: "لذلك فإن أهم ما أوصيكم به أيها الأبناء والأحفاد هو أن تحافظوا على استقلاليتكم وأن تعظوا عليها بالنواجذ، وألا يفكر أحد منكم ذات يوم في

---

١) سمرين، أوراق الشتات. ص٢٨٧.

٢) نفسه، ص٤٦٩.

الانضمام إلى أي حزب أو جماعة أو تنظيم مهما كانت الإغراءات أو المبررات، وبخاصة وأنكم تعيشون في ظلال أنظمة لا تعترف بالآخر ولا برأيه..." (١).

بهذه الاعترافات وبهذه النهايات لرجا سمرين، يعلن عن نهاية كافة الأعمال لديه سواء كانت عملية أو حزبية، مؤكدا التزامه بقضايا أمته وبلاده، قائلا: "أقوم الآن بدور المتقاعد الذي لا يدري إلى أي مدى يطول به الوقت وهو يؤدي هذا الدور الذي هو في الحقيقة من أصعب الأدوار، بل أصعبها على الإطلاق"(٢).

وخلاصة القول إننا نشهد بما تقدم من عموم تلك السير الصادرة في الأردن بين عامي ٢٠٠٠م ــ ٢٠٠٥م، تنوعا خاصا مميزا في عملية الاستحضار السردي بشكل عام من شخوص وأحداث تاريخية؛ وحقائق وعلاقات ورسائل وأخبار...الخ، تمثل هذا في عملية الاستحضار للإطار الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي، ومدى الترابــط والتلاقــي ضمن هذه الأطر الحياتية وتوظيفها في تلك السير، وإظهارها بشكل واضح وجلي من خلال الصور التي قدمها أصحابها للواقع المعيش سواء كان فردا أو مكانا، وما تصويرهم وجلبهم لهذا الواقع إلا ليدللوا به على الذات المتطلعة إلى الآفاق، التي تود النفاذ والخلاص إلى واقع أرحب وأوسع من السابق، وفعلا تم لها ذلك.

---

١) سمرين، أوراق الشتات. ص٤٦٩.

٢) نفسه، ص: ٤٧٠.

من هنا تنبع أهمية السيرة الذاتية، إذ "يبدأ الإبداع الأدبي في كتابة السيرة، الشخصيتان حيتان وغير مستقرتين، الشخصية المكتوب عنها وشخصية كاتب السيرة، هذه تتحرك وتكشف عن جوانب خفية وهذه تتحرك ويتغير فهمها وذوقها من حين إلى حين حسبما يؤثر فيها من تلك، ونحن نصور هذه العملية كتابة ونحصرها بين دفتي كتاب، ذلك هو المنجز الأدبي الذي وصفه كتنكز: "إنه أكثر المنجزات المتحققة أهمية في عصرنا الراهن"[1].

---

١) ياسين حافظ، **فن كتابة السيرة: طبيعته وعناصر تطوره**. مجلة أفكار.

الفصل الثالث

- السيرة الذاتية والتشكيل الفني
- أنواع السيَّر الذاتية:

أ- السيرة التاريخية التسجيلية

ب- السيرة الذاتية الأدبية

- الأبعاد الفنية للسيرة الذاتية:

العنوان، اللغة، الزمن، المكان، السرد.

وفي هذا نجد تطابقا لما يتطرق له وهدان عويس في بداية السيرة: "والآن أعود إلى حيث بدأت رحلتي إلى دبين وتحت ظل الهدأة لأدون ما علق بذاكرتي من أحداث، وأعطي رأيا شخصيا فيما حدث ويحدث على الساحة العربية"[1].

إن نظرة فاحصة ومتعمقة لما سبق، تكشف تباينا لمفهوم السيرة الذاتية من خلال المصطلحات التي يقدمها، أعود: استرجع ذلك الزمان المنصرم، إلى حيث: الحيثيات والوقائع، أي تشكيل المحتوى السير ذاتي "النص"، بدأت: إشارة إلى ذلك الزمان زمن البدايات الأولى، رحلتي: المكان المحدد والانتقال من إلى، تحت ظل الهدأة: المكان، كتابة النص والتعبير عن وجهة النظر الخاصة من الأحداث والأحوال.

أما سيرة **رجا سمرين أوراق الشتات**، نجد اختلافا في العنوان عن باقي السير، يوحي العنوان لديه بأن صاحب السيرة قد تنقل من بلد إلى آخر، وتبدل في الأحوال في كل بلد كان يحل به، يغلب على سيرته الذاتية طابع المذكرات التسجيلية والسرد التاريخي، قائلا: "منذ عام ١٩٤٨م. بدأت أحرص على اقتناء مفكرة صغيرة تحمل تقويم كل عام جديد، وشرعت أسجل فيها ما يعرض لي ولأسرتي من أحداث، وما تتعرض له أمتنا العربية من وقائع جسام بإيجاز شديد"[2].

وفي أخذنا لهذه المقتطفات نجد أن للعنوان أهمية ومرتكزا في الدلالة والإيحاء، أغلب السير، تتشابه في العناوين، لكنها تختلف في

---

١) عويس، سيرته الذاتية. ص١٤.

٢) سمرين، أوراق الشتات. ص٧.

المضامين، وبهذا يقدم كاتب السيرة للقارئ تمهيدا يؤثر على نفسية القارئ كثيرا، محددا منذ البدء في كتابة العنوان المطلب السيري والمنهج الذي ينتهجه في عملية الاستحضار، مكتشفا القارئ هذا من ثنايا العنوان. من هنا يأتي تميز السيرة الذاتية في بساطتها ووضوحها لا في عقدتها وخيالها.

ثانيا: اللغة

تنبع أهمية اللغة من مقدرتها في التحكم بإنتاج الملفوظات الفردية من الكلام، وتعد هدفا رئيسيا في كل السرديات من وصف السرد وإعادته مرة أخرى، إذ إن أغلب السير عملت على اشتقاق الكلمات من الواقع المعيش، من لغة الشارع وعامة الناس في أسلوب أدبي ضمن وثائق اجتماعية، بلغة أدبية واقعية سمتها التشخيص الموضوعي والصدق الذاتي والابتعاد عن التصنع والتخيل.

لهذا جاءت سيرة الموسى "**ثمانون**"، سهلة اللغة وواضحة الأبعاد والدلالة: "إن "ثمانون" سليمان سيرة إخبارية ممتعة مكتوبة بلغة سهلة واضحة ومباشرة، وتتخللها في مواضع عديدة عمليات توثيق دقيقة تظهر مدى دقة الكاتب وحرصه منذ بداية حياته على تسجيل ما يتعلق به وحفظه، ولا شك أن هذا عمل يرتبط بشخصية المؤرخ، ويقع ضمن اختصاصه"[1].

وبناء عليه فإننا نجد أن الموسى يبدأ كتابة سيرته، رجوعا من الحاضر الذي كان يعيش فيه، إلى الماضي، قائلا: "عندما تتقدم سنوات

---

[1] زياد الزعبي، ثمانون: كثير من الرضا.. كثير من المرارة. الرأي ٢٠٠٤.

مفاجأة مضحكة إذ وجدنا أن المصباح قد أحرق حذاء زميلنا ممدوح، مما اضطرنا إلى جمع مبلغ من المال لنشتري ــ على عجل ــ حذاء له"[1].

وهناك سمة عامة نلفت النظر إليها وردت في أغلب السير، وهي استحضار الشخصيات الهامة[2]. في السرد الذاتي، على الرغم من مركزية الحضور لأصحاب تلك السير، ولكن بهذا الاستحضار تزداد السيرة تأكيدا وحضورا جادا؛ ومن أجل إدارة عملية الحوار في السرد العام للأحداث المعاصرة.

أما حضور اللغة في "**أوراق الشتات**"، فإن رجا سمرين يكتب سيرته بلغة فصيحة منمقة، إذ إنه يختلف في الأسلوب اللغوي عن باقي السير في عملية السرد من الحاضر إلى الماضي، وتبدأ السيرة لديه بنقل الحدث الآني بوصف قريته، "قالونيا": "هي قرية قالونيا، وهي واحدة من ست وستين قرية تابعة للواء القدس الذي يضم بالإضافة إلى هذه القرى ثماني مستعمرات يهودية، وعشيرة بدوية واحدة"[3]. ومن ثم تبدأ عملية السرد لديه بضمير الغائب والاعتماد على الآخر في تقريب الصورة في أحايين كثيرة، مما يخفف من مركزيــة الحضور لديه في بعض المواقف من بداية السيرة، قائلا: "وقد حدثني الوالد عن هذا الأمر بالذات، قائلا: لقد وسوست لي نفسي ذات يوم أن أدعوه للمنازلة، فحاول جاهدا أن يقنعني بعدم ضرورة ذلك تأدبا منه"[4].

---

1) عويس، سيرته الذاتية. ص٣٩ــ ٤٠.

2) أورد كثيرا من أسماء الشخصيات الهامة في سرده، أنظر المصدر ذاته، ص: ٥٣ ــ ٥٤.

3) نفسه، ص١١.

4) سمرين، أوراق الشتات. ص٥٩.

بعد هذه المقدمات، يعاود الانتظام في سرد وقائع السيرة بالاعتماد على الفعل الماضي، قائلا: "لا أذكر كثيرا من أحداث الطفولة التي تنتهي بسن الرابعة، وكل ما أذكره أننا كنا نعيش في غرفة بالحارة الشرقية تسمى دار سمرين وهي بالقرب من دار صلاح"[١].

ومن ثم يكشف لنا من خلال عملية السرد والاستحضار، عن معاناته الحسية والنفسية التي كانت تلازمه، بالقول: "وليت الأمر توقف عند الألم الحسي، ولكن تعداه إلى الألم النفسي"[٢]. إذ إن هذا ينبئ عن حالة الصراع الداخلي والخارجي التي كان يعيشها، ولم تكن لتفارقه هذه الحالة في أغلب نصوصه السردية.

وفي أجواء السيرة، نلحظ لديه البوح عن مقدرته ومهارته الشعرية وهو في سن مبكرة، حينها كان عمره لا يتجاوز الخامسة عشر، عندما بدأ بنظم الشعر والتمثيل[٣].

ومن الأساليب المحورية التي استخدمها في سيرته، أسلوب الحوار والاستفهام؛ والاقتباس من القرآن الكريم أو التناص معه ليؤكد بهذه الأساليب مطالب عدة ومتنفسا له في عملية البوح وتأكيد الحدث، قائلا: "... قلت مستغربا مقالته هذه: هل في قرار عودة الإنسان إلى بلاده شيء سخيف؟! وأي حال هذا الذي أنا عليه؟! قال: أقول لك أخ ناصح أمين. إنك لم تفكر في المستقبل، ولا في كيفية مجابهته في فلسطين... "[٤]. وفي

---

١) المصدر السابق، ص٧٥.

٢) نفسه، ص٨٨.

٣) أفصح عن هذه المواهب في المصدر ذاته، ص١٢٣، ١٢٤، ٣٣٠.

٤) نفسه، ص١٦٨ــ ١٦٩.

استخدامه لأسلوب التناص، تمثل لديه، بالقول: "... وقد نمت فيها نوما عميقا بسبب الإرهاق حتى تكامل عدد الحجاج الزمـلاء وتحركنا صـوب الرياض عملا بقوله تعالى، "**ومن تعجل في يومين فلا إثم عليه**"[1].

وفي استخدامه للتراث الشعبي من الأمثال نجده حاضرا لديه، بالقول: "قلت في نفسي: "عمر الشقي بقي" يا أبا نزار.... هذه هي المرة الخامسة التي تتعرض فيها لرصاص اليهود وقذائفهم"[2].

ثالثا: الزمن

الزمن في السيرة الذاتية شأنه شأن الرواية، إذ "إن الموضوعية والتجرد قيمتان جماليتان ساميتان وينبغي على كاتب السيرة، شأنه شأن الروائي أن "يعرض" لا أن "يفرض" ويتحقق هذا الشبه بضمير المتكلم، "وكتابة السيرة الذاتية، والرواية بضمير المتكلم تبدأ من الحاضر، وترجع إلى الماضي، أمّا الرواية بضمير الغائب، فتنطلق من الماضي، لذلك فإن كاتب الرواية بضمير الغائب أقدر على إيهام القارئ بأن الأحداث ما زالت جارية، من كاتب السيرة الذي يتحدث في سيرته عن أحداث جرت وانتهت"[3].

لهذا نجد أن كاتب السيرة الذاتية لا يستطيع الإفلات من هذا البعد بتاتا، وذلك لتعلق الأحداث والوقائع بعضهما ببعض؛ وارتباطهما بالإنسان

---

1) سورة البقرة آية ٢٠٣.

2) سمرين، أوراق الشتات. ص٣١٤.

3) نهاني شاكر، ص١٢٦.

ارتباطا وثيقا. إذ تكمن أهمية هذا الارتباط في تشكيل السيرة الذاتية. ونتيجة لهذا نجد أن "الزمن اللغوي: له أبعاد مكانية من قرب وبعد واستمرار وانقطاع، وله آلات قياسه الخاصة به وهي الصيغ والمركبات"[١]

إن الحياة ترتبط ارتباطا وثيقا بالزمن، والزمن نفسه هو الحياة في جميع مراحلها، والإنسان يعيش فيها ضمن منظومة متسلسلة في ترتيب زمني معين، مبرزا في كتابة السيرة الذاتية الخاصة به، أهم الأحداث التي عاشها وأثرت على تكوينه النفسي، سواء كانت حسنة أو سيئة، فتكتب بصدق وتجرد عن الأهواء الشخصية، إذ تنسج ثلاثية الزمن الوجود الإنساني وتشكل حياته، فالإنسان زمن يتشكل من ثلاثة أبعاد: اللحظة الآنية الحاضرة التي يعيشها ويمارس فعله فيها، وقد سبقتها لحظة ماضية تراكمت على الماضي الممتد عبر سنوات العمر السابقة، لتشكل وجود الإنسان وتؤثر في أفكاره ومشاعره فيتعامل مع لحظته الآنية الحاضرة وفق معطيات الماضي الممتد، حيث تدفع الذاكرة باستمرار الماضي باتجاه الحاضر لاستشراف المستقبل الآتي"[٢]

وفي تتبع البعد الزمني في سيرة سليمان موسى، "**ثمانون**" نلحظ تجلي هذا البعد في أغلب النصوص السردية لديه، مصورا معاناته الداخلية والخارجية من خلاله ومقسما الزمن السردي لديه إلى مجموعة

---

١) مالك المطلبي، الزمن واللغة. ١٩٨٦، ص١٢.

٢) مها القصراوي، الزمن في الرواية العربية. ٢٠٠٣، ص٢٦.

من المراحل، يبدأه منذ الميلاد البيولوجي ومن ثم مرحلة الطفولة والشباب وانتهاء بمرحلة متقدمة من العمر، كما يقول الموسى.

والزمن الذي يستحضره، جاء به ليعبر عن حالته النفسية من القهر والعذاب، جاء على الأغلب ممزوجا بالمرارة والقسوة وشح الموارد: "هكذا كان أسلوب تدبير العيش للناس الفقراء من أمثالنا. ولم يكن ذلك بعيدا عن أسلوب حياة الناس الذين يملكون الأرض، فالكل يكد ويسعى لتأمين مئونة السنة"[1].

وعن معاناته وصراعه مع الأيام، نكشف عن الزمن النفسي وما كان يشعر به حين ذاك، قائلا: "هناك أمور تركت أثرها في نفسي من أحداث تلك الفترة. فقد حدث ذات يوم أن شخصا مجهولا أطلق النار من مسدسه على شخص آخر كان يجلس في مقهى قبالة المحل التجاري الذي أعمل فيه... "[2]، "ومرت أيام وأيام. وفي ذات يوم فوجئت، كما فوجئ غيري من سكان يافا، بسيارات الشرطة وتطوف في الشوارع وتعلن منع التجول... وعندما عادت المدينة إلى الحركة بدت لي مدينة أخرى: مدينة حزينة واجمة هادئة أكثر مما يجب"؛ "وإن أنس لا أنس القنابل التي كان يفجرها اليهود ــ أو عملائهم ــ في أسواق الخضار، حيث كان الناس وتجار الخضار يزدحمون في صباح كل يوم لشراء ما يحتاجون إليه"[3]. بهذه المقاطع السردية المقرونة بزمن الاسترجاع والتي تهيمن على النص من خلال كثرة المشاهد المقدمة، عن

---

١) الموسى، ثمانون. ص١٢.

٢) نفسه، ص٥٠.

٣) نفسه، ص٥١.

طريق التناوب والتداخل أحيانا والتكرار مع بعض النتف السردية، يقدم بها الموسى أبعادا زمنية. تثري النص لديه وتكسبه سمات فنية مميزة في عملية الاستحضار السردي لتلك الأحوال المعيشية.

وعن استخدامه للزمن الحاضر (زمن الاسترجاع) والذي يعتبر امتدادا للماضي (زمن الأحداث)، يذكر حديثه الذهني الممتع ــ بالنسبة له ــ حول تأليفه للكتب وبعض الروايات آنذاك. نجد تداخلا للزمن في كافة أبعاده: فهذا الحاضر امتداد لذلك الماضي، إذ يقول: "أعود إلى المتع الذهنية التي أتاحتها لي الإقامة في يافا. كانت الكتب متوفرة وكثيرة، وأسعارها معقولة"[1].

وعن سنوات الصبر والأمل، يتحدث عن الجانب العملي لتلك السنوات الممزوج بالمشقة والمتاعب، لكنه يدخل في سرده الزمني مباشرة بعضا من الأحداث العالمية، ليكشف لنا حالة القلق وعدم الاستقرار آنذاك، بالقول: "عندما انتهى العام الدراسي سنة ١٩٤٠، كنت عقدت عزمي ألا أعود لمهنة التعليم. وبعد مدة قصيرة وجدت عملا بوظيفة محاسب في محل تجاري في إربد... وفي عام ١٩٤١ اقتربت الحرب العالمية من بلاد العرب... "[2]. بهذه النتف السردية، يعمل على دمج الأزمنة المستذكرة مع الأحداث المعيشة لتلك الفترة الزمنية.

وفي الثلث الأخير من سيرته الذاتية، يبدأ حديثه السردي يأخذ منحى آخر مختلفا عن السابق، إذ يتجلى حضور الزمن من خلال تركيزه

---

١) للمزيد أنظر سيرته الذاتية، ثمانون. ص٥٢ ــ ٥٩.

٢) نفسه، ص٦٥ .

على شخصيته المحورية، قائلا: "وبينما أنا في حيرة من أمري، لا أدري ما أفعل، تلقيت نبأ ما كنت أحلم في ظروفي تلك أن أسمع مثله، ألا وهو نبأ تعييني موظفا في الإذاعة. بعث ذلك النبأ في نفسي ونفوس أفراد أسرتي الشعور بالسعادة، بعد كل ما عانينا في أثناء الشهر الأخير"[1]. وبدأت الأمور تتغير وتتحسن الرؤى والانطلاق نحو الأفضل في كل شيء، إذ "كان انتقالي إلى دائرة المطبوعات والنشر منعطفا مهما في حياتي"[2]. وهذا دليل على تطور المراحل الزمنية التي ذكرناها سابقا: زمن البدايات الأولى وما تتخلله من جلب الأحداث والوقائع فيما كان يروى له عن طريق الآخر؛ زمن الطفولة ومرحلة الشباب وما عاناه وعاصره من أحداث ووقائع كثيرة؛ ومن ثم زمن الرضا والقناعة وما آل إليه (الخلاص)،إذن "في سيرة الموسى تصوير للبؤس والانتصار عليه، وتصوير للجهل والخلاص منه، وتصوير للأمل والنجاح والاعتزاز به وهو في هذا كله يضع القارئ في سياق البوح، والإفضاء بالسر، وهذا فعل يجعل القارئ يصغي إلى ذات لا تحدث الآخرين فحسب، ولكنها تخاطب نفسها كذلك، والخطاب حين يكون على هذا النحو يدخل القارئ في علاقة نفسية ــ إنسانية مع النص لأنه يود الإصغاء إلى الآخرين الذين يملكون تجارب غير عادية... "[3].

وفي سيرة الطويل "**مدارات الذاكرة**"، يبدأ عامل الزمن في الظهور منذ البدء بإعلان تاريخ ميلاده، مؤرخا له تاريخا عاميا كان دارجا بين

---

١) الموسى، ثمانون. ص٩٧.

٢) نفسه، ص١١٧.

٣) الزعبي، ثمانون: كثير من الرض... ٢٠٠٤.

الناس، يختلف عن الميلاد البيولوجي، يقول: "ولدت، كما قيل لي، قبل سنة الثلجة الكبيرة بعامين كان الناس يؤرخون بالأحداث الكبيرة، ربما هم لا زالوا يفعلون حتى اليوم"(١).

إن سيرته الذاتية في جزئيها "**مدارات الذاكرة**" وفي "**الطريق إلى عمان**"، تغطي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية من أحداث ومشاهدات وحتى عام ١٩٩٤، ففي الجزء الأول انطلقت منذ بداية الطفولة لديه بدايات عام ١٩٣٥م وحتى التحاقه بوزارة الخارجية عام ١٩٦٢م، في حين يغطي الجزء الثاني الحقبة الزمنية الواقعة بين عامي ١٩٦٢و ١٩٩٤.

وفي استحضار الطويل لتلك الذكريات السابقة، التي جاءت في جزأين منفصلين، يتبين لنا بأن لديه متعة في ذلك، وهذا ما ركز عليه ماي، بالقول: "يلتذ كاتب السيرة الذاتية أيما التذاذ بالتذكر وخاصة استحضار الذكريات البعيدة التي عوض أن تلقي عليها الشيخوخة شيئا فشيئا سجف النسيان نجدها على عكس ذلك تزداد ألقا، نعني بذلك ذكريات الطفولة أو الشباب"(٢).

من هنا، جاءت سيرته الذاتية في جزئها الأول مليئة بالأحداث، إذ إنها تغطي مرحلة هامة في كتابة السيرة الذاتية، الطفولة التي تسرد وفق تسلسل زمني، "صحيح أن الحركة الزمنية تتصاعد في الجزأين، ولكن الزمن في المدارات ظل أكثر حيوية وتشعبا وتدفقا، وصحيح أن ثمة فرقا

---

١) الطويل، مدارات الذاكرة. ص٩ .

٢) ماي، ص٥٦.

وبعد ذكره لهذه الفضاءات المكانية، يختم سرده الذاتي للمكان بالعودة إلى الداخل الذي انطلق من خلاله، وفي هذه العودة، تتشابه سيرته مع سيرة فالح الطويل، الجزء الثاني "في الطريق إلى عمان". متحدثا عن ذلك الرجوع، بالقول: "أعود ثانية إلى "الهدأة"، أستعرض الذكريات وأمرُ على الأحداث التي شاهدتها، والمواقف والظروف التي عشتها وعايشتها، بهدف تحليلها وتقييمها... "[1].

وأما حضور البعد المكاني في "**أوراق الشتات**"، فبدأ بالإشارة لقريته التي عاش فيها: "هي قرية قالونيا، وهي واحدة من ست وستين قرية تابعة للواء القدس الذي يضم بالإضافة إلى هذه القرى ثماني مستعمرات يهودية، وعشيرة بدوية واحدة"[2]. ويدل اسم الإشارة في تصريح سمرين، دلالة واضحة وأكيدة على المكان في عملية السرد الذاتي. متخذا منه جزءا أساسيا في صياغة سيرته الذاتية، ومحاولا في ذلك إعادة خلق المكان من جديد، عن طريق تقديمه للوصف المكاني التفصيلي، "في قريتنا هذه، وفي الأراضي التابعة لها والتي تبلغ مساحتها (٤٨٤٤) دونما عدد من عيون المياه العذبة التي كان يستقي منها أهل البلد... "[3].

ومن خلال سرده الذاتي في تصوير الحدث، يعتمد على المكان في جلب الصورة وتقريبها إلى الأذهان، قائلا: "بدأت أسرة محمد سمرين الصغيرة مسيرتها مع الحياة في قالونيا. وكان أول ما فكر فيه رب

---

١) عويس، سيرته الذاتية. ص٢١٢.

٢) سمرين، أوراق الشتات. ص١١.

٣) لمعرفة العيون وأسمائها بشكل مفصل، أنظر المصدر ذاته ص١٢ وما بعدها.

الأسرة بعد أن استقر به المقام في بلدته الأصلية، هو البحث عن طريقة يستخلص بها أرضه من قبضة ابن عمه ذيب سمرين، الذي تسبب في تشريد والده عبدالله من بلده"[1]. يعتمد هنا على الآخر في تقريب الصورة الواقعية للمكان.

وفي حديثه السردي للفضاء الخارجي الذي يبدأه من لبنان، قائلا: "كان أول شيء فكر فيه الوالد هو إلحاقنا بمدرسة الذوق"[2]. يسهب في حديثه أثناء تواجده في لبنان عن أمور سطحية منها: معاناته من بعض حالات مرضية، كالندبة التي ظهرت في خده؛ وإصابة شقيقه غالب بمرض الحمى؛ وعن غرقه أثناء قيامه في السباحة. وبعد هذا المكوث المحدود، يقرر المفتي مغادرة لبنان متوجها إلى برلين، وتعود عائلته ثانية إلى قرية قالونيا: "في الأول من تشرين الثاني ــ نوفمبر ــ سنة ١٩٣٩ عادت أسرتنا وعلى رأسها الوالد إلى قالونيا، وبعودتنا إليها التحقت بالصف الرابع الابتدائي بمدرسة البلدة التي كنت قد غادرتها قبل عامين"[3].

وأثناء إقامته في مصر، يذكر أن هذه الإقامة قد أكسبته التعرف على أمور كثيرة وأكمل دراسته التي كان يحلم بها ومن ثم تزوج هناك، قائلا: "فركت عيني اللتين تسمرتا فوق اسمي الذي يتوسط الناجحين... وقلت في نفسي: هل أصبحت حقا طالبا جامعيا؟ إلى عهد قريب لم يكن ذلك بالنسبة لي أكثر من حلم من أحلام اليقظة. أما اليوم فإنه حقيقة واقعة

---

١) سمرين، أوراق الشتات. ص٧١.

٢) نفسه، ص١١٤.

٣) نفسه، ص١٢٣.

لا شك فيها ولا مراء"[1]. وفي جانب آخر لذات الموضوع، يعرب فيه عن حبه وتقديره لذات المكان، قائلا: "جئتها يافعا مغمورا (مصر) ذا مستقبل غامض غير واضح المعالم، وها آنذا أغادرها شابا جامعيا مؤهلا مسلحا بالعلم والمعرفة... لقد منحتني مصر الثقة بالنفس، والعلم الغزير، والثقافة الواسعة، والشهادة العالية، والعروس الحسناء، وهل بعد هذه العطايا والهبات شيء أفضل أن يمنح؟"[2].

بعد هذه الإقامة الطويلة في مصر والتي يعتبرها تكللت بالنجاح، ينتقل في السرد المكاني إلى الأردن، مصورا معاناته منذ اللحظة الأولى لوصوله إلى منطقة الرمثا! قائلا:

"في الرمثا وهي أول مدينة أردنية يصل إليها القادم من دمشق أنفقت آخر ما كان في حوزتنا من نقود... لم أعبأ بذلك كثيرا، فقد كنت على يقين من أنني سأجد الأهل في انتظارنا... فوجئت بعم وجود أحد في انتظارنا، ووقعت في حيص بيص"[3]. ومن ثم يسترسل بذكر مجموعة من المعضلات التي واجهته أثناء إقامته في الأردن، ذكر أغلبها في فصل سابق من الدراسة.

وفي مغادرته للأردن متجها إلى السعودية، يذكر حديثا سرديا للجانب العملي واصفا ذلك بالقول: "كانت المدة التي قضيتها في الرياض،

---

١) سمرين، أوراق الشتات. ص١٨١-١٨٢.

٢) نفسه، ص٢٤٦.

٣) نفسه، ص٢٤٨.

على الرغم من قصرها حيث أنها لم تزد عن ثلاثة أعوام وشهرين مفعمة بالخير والبركة"[1].

وفي الكويت، يتحدث عن الجانب العملي، فقد عين مدرسا وتنقل في أكثر من موقع، ومارس حياته الطبيعية، مستذكرا بعض الأحداث والوقائع التي كانت تحدث على الساحة العربية والدولية.

وفي العودة ثانية إلى الأردن، التي عاد إليها قسرا، نتيجة لدخول القوات العراقية إلى الكويت، قائلا: "تسارعت الأحداث بعد احتلال العراقيين الكويت، وبدأت الآفاق تتلبد بغيوم مرعبة لا يعلم إلا الله ما الذي ستمطره على رؤوسنا. فكّرت في الأمر فهداني تفكيري إلى أن البقاء في الكويت قد أصبح ضربا من المغامرة المجنونة التي لا تحمد عقباها... وهكذا عقدنا العزم على مغادرة الكويت"[2]. وبعد مغادرة الكويت سرعان ما قرر العودة إلى الأردن ليستقر فيها: "قدمنا إلى عمان عن طريق العراق الذي بتنا فيه ثلاث ليال، قضينا إحداهما في الرمادي والثانية في الرطبة والثالثة على الحدود في منطقة طريبيل"[3].

نلحظ في هذه الأمكنة وخاصة الفضاء الخارجي، تغير الحال وتبدله من فضاء إلى آخر. ففي مصر نجد أنه يصرح بكثير من الأمور الإيجابية الحسنة؛ وفي لبنان ذكر حديثا سرديا لمعاناته من المرض؛ وفي الأردن يتحدث عن حالة من عدم الاستقرار انتابته منذ البدء؛ أما في الكويت والسعودية نجده يسهب كثيرا من السرد عن الجوانب العملية

---

1) المصدر السابق، ص٣٠٩.

2) نفسه، ص٤٠١.

3) نفسه، ص٤٠١.

هناك. ولكن بعد أن تبدلت الأمور في الكويت ودخول القوات العراقية إليها، مما اضطره ذلك لمغادرتها عائدا إلى الأردن ومستقرا فيها، حتى كتابة هذه الدراسة.

خامسا: السرد

إن السيرة الذاتية ليست إلا شكلا من أشكال السرد، بوجود مؤلف يكتبها وسارد يسردها وقارئ يقرؤها. لذلك يشكل السرد موضوعا مثاليا للبحث في كيفية استعادة الوقائع والأحوال والأفعال ضمن أسس حكائية، من خلال هذا نجد أن الأدب العربي الحديث: "يحتفي بالنصوص السردية الآن احتفاء خاصا، وبخاصة الرواية إلى درجة اعتبر عصرنا عصر الرواية، وهم في كل هذا لم يكونوا على خطأ، فالرواية نوع أدبي انتزع الاهتمام، ونجح خلال مدة وجيزة في الاستئثار بالمكانة الأولى في الآداب العالمية وفي الأدب العربي"[1].

ركز النقاد على العامل السردي وحضوره في كتابة السيرة الذاتية النموذجية: "إذ إن السرد بمعناه الدقيق مثله مثل اللغة لا يعرف سوى نظامين من العلامات هما: الشخصي واللاشخصي، وهذان النظامان لا يستفيدان بالضرورة من المؤشرات اللغوية المرتبطة بالضمير (أنا) أو الضمير اللاشخصي (هو)...الخ"[2]. ونتيجة لهذا فمن المفروض فيمن يتعامل مع السيرة الذاتية بشكل عام، التركيز على جلب رواية الحكايات المسموعة التي تعتمد بدورها على المقامات السردية الداخلية، ويتجلى

---

١) عبدالله إبراهيم، **السردية العربية الحديثة**. ٢٠٠٣، ص٢٩٧.

٢) للمزيد أنظر **طرائق تحليل السرد الأدبي**. منشورات اتحاد كتاب المغرب، ١٩٩٢، ص٢٧ وما بعدها.

صوت السارد ويظهر في السيرة الذاتية بواسطة ضمير هو ضمير المتكلم المفرد، ومثال ذلك كما ورد في سيرة الموسى: "أبي نفسه عاش حياة قاسية، فقد توفي أبوه وهو صغير، وكان على والدته (وردة) أن تقوم على تربية أبنائها الثلاثة وشقيقتهم.... يا لها من حياة حافلة بالأسى والشقاء تلك التي عاشتها"[1].

وفي العودة إلى **الهدأة**، نجد أن عويس يستخدم عنصر السرد الداخلي موظفا إياه في جلب الذكريات، ومستخدما المكان كدال على جلب الحدث وربط هذه الأبعاد معا، معبرا عن ذلك، بقوله: "وادي زقيقة هذا يذكرني بحادث مؤلم وقع لوالدي رحمه الله، حيث لدغته أفعى وهو يسقي أشتالا من الزيتون زرعها حديثا.... ولم يكن في العيادة أي علاج. فاضطر والدي للذهاب إلى المستشفى المعمداني في عجلون فوصله بعد ست ساعات من وقوع الحادث، حيث كان السم قد وصل الكليتين فتعطلتا عن العمل، وبقي والدي في صراع مع الموت ثلاثة أيام"[2].

نلحظ أن السارد في السيرة الذاتية يعلن انه يروي ولا يتخيل عندما يشير إلى مصادره ورواته، ويتمتع بالشجاعة التي تمده بالصراحة لكي يثبت الوقائع التي لا يرضى عنها. ومن خلال هذا المنظور نجد أن بعض السير الذاتية العربية، توظف بعض التقانات السردية التي ترتبط كثيرا بالرواية، إذ يتخلى الراوي عن السرد، ويترك الشخوص تتحاور فيما بينها فارضة حضورها الذاتي، تمثل هذا لدينا في سيرة الطويل، بالقول:

---

١) الموسى، ثمانون. ص٩ .

٢) عويس، سيرته الذاتية. ص٢٥.

الخاتمـــة

تبين من خلال دراسة السير الذاتية موضوع البحث أنها تشترك في العنصرين المحوريين: الذات والإطار الاجتماعي، فكل واحدة منها عرضت على نحو تفصيلي، وإن كان متباينا بين سيرة وأخرى للحياة الذاتية لكاتبها، كما عرضت للإطار الاجتماعي الذي عاشت فيه بكل أبعاده. وقد تجلى في الدراسة مجموعة كبيرة من عناصر الالتقاء بين هذه السير إلى بعدين: ذاتي واجتماعي.

فقد ظهر أن ثلاثا من السير، تحدثت عن الفقر والمعاناة وضيق ذات اليد، وأصحابها هم: الموسى والطويل وعويس، وقد آل مآلهم إلى أن أصبحوا فيما بعد في أعلى المراتب الحياتية، فبرز منهم السياسي والمؤرخ والكاتب، وجاءت سيرهم دالة على أعمالهم؛ وفي سيرة عبد السلام المجالي، فقد تناول فيها الموضوعات بشكل مختلف عن سابقيه، تميزت بالحديث عن الافتخار والاعتزاز في أغلب مواطن السيرة، وأنه لم يكن ليعاني من الفقر وضيق ذات اليد كما عانى الجميع، بل ذكر حديثا تناول فيه مميزات شخصية ممجدة للذات، من حيث الأداء العملي والوصول إلى مركز سياسي مرموق في الدولة الأردنية، تبوأ في نهاية الأمر رئاسة الوزراء في الأردن؛ وفي سيرة رجا سمرين التي صدرت في الأردن، فقد غلب عليها الطابع التاريخي العام للأحداث في مناطق متعددة من الوطن العربي، ولكن بعد أن استقر به الأمر في الأردن، تناول حديثا مقتضبا في مرحلة متأخرة من سيرته الذاتية.

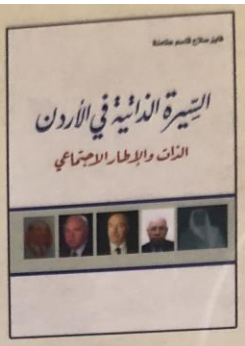

هذا الكتاب

يعدّ هذا الكتاب مرجعاً مهماً للسير الذاتية التي صدرت في الأردن في مطلع الألفية الجديدة والتي مثلت جوانب مختلفة كالجانب الاجتماعي والثقافي والسياسي. وهي سير تسترجع صورة الذات في الإطار الاجتماعي الذي عاشت فيه، وتقدم صورا تفصيلية للذات في مرحلة الطفولة من خلال عملية استعادة تخيلية تعنى بالكشف عما تراه سمات مميزة لها، مستخدمة البنية السردية المألوفة في الرواية.

وتتجلى صورة الذات في تلك السير: ذكية، فطنة، طموحة، مختلفة عن الآخرين، وتمتلك حضورا مميزا مما يشي بما ستكون عليه في المستقبل. وهذه صورة إعلائية للذات تعتمد على الاسترجاع الانتعاشي الذي يلائم حاضر الشخصية الساردة ورؤيتها الذات الآن، وكما كانت.

وفي دراسة الجانب الفني للسيرة الذاتية، لوحظ تعدد الأشكال الفنية لها، منها: السيرة التاريخية التسجيلية؛ والسيرة الذاتية الروائية، إذ يعد الشكل الروائي في كتابة السيرة الذاتية من أرقى الفنون التي تستعين به السيرة الذاتية، وذلك بفضل تواجد عنصر الإبداع والخيال الفني، فكثيرا ما ينظر إلى الرواية على أنها سيرة ذاتية، وبذلك نجد أن كلا النوعين من النصوص ينتمي إلى المشروع الأدبي نفسه، وهو مشروع السيرة الذاتية (أو المشروع الأوتوبيوغرافي)، والذي يعتبر ملمحا عاما للحساسية الجديدة وللإبداع الجديد؛ فالكاتب يشعر بأن صدقه الخاص لا يمكن أن يتحقق إذا هو قيد خياله الخلاّق بشكل أو شكلين من الكتابة؛ إذ إنه لكي يقترب من ذاته لا بد من الأسلوبين الواقعي والخيالي.